



# حديث الماء والنار

محمد صالح الخولاني





# حديث الماء والنار

شعر

محمد صالح الخولاني

وزارة الثقافة



سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداع أدباء  
مصر في الشعر والقصة والرواية

### • هيئة التحرير •

رئيس التحرير

د. محمد عبد المطلب

مدير التحرير

نور الهدى عبد المنعم

الأداء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة  
بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.  
• يحظر إعادة النشر أو التبع أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن  
كتامس من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بإشارة إلى المصدر.

### مسلمة أصوات أدبية

تصدرها  
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

أمين عام النشر

سعد عبد الرحمن

الإشراف العام

جمال العسكري

الإشراف الفني

د. خالد سرور

• حديث الماء والنار  
• محمد صالح الخولاني  
• الطبعة الأولى:  
الهيئة العامة لقصور الثقافة  
القاهرة - 2008 م  
192 ص. 13 x 25 سم  
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور  
• المراجعة التقنية:

سعاد عبد الحليم

• رقم الإيداع: ٢٠٨٧٥ / ٢٠٠٨  
• الترتيب الدولي: 1-941-9437-977  
• للرسائل:

باسم / مدير التحرير  
على العنوان التالي: ١٥ شارع أمين  
سامي - قصر المينى  
القاهرة - رقم بريدى 11561  
ت، 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنشيط:  
شركة الأمل للطباعة والنشر  
ت، 23904096

## حديث الماء والنار

---



صمت النهر





كنا نسامر وجهه الفضى  
نستدنيه تاريخاً من العبق القديم  
تلقى الرسائل بين أيدينا  
فنسألها  
لغة تحاور فى المدى الخبوء فى دمن التباريح القديمة  
كنا نباهى فيه أزماناً مراوغةً عنيدة  
ونلوذ فى أكنافه بالظل يوصلنا بغيء المدنفين  
كنا إذا اندلعت بنا الأوهام نسأله  
زلفى فيمنحننا براءات اليقين

\*\*\*

يأيها الزمن الذي ولى

لترحل فى زواياك التى ما أطفأناها الريح يوما  
أشواقنا المستنسخات من التراتيل العتيقة  
الأننا عدنا ظللاً

من رؤى ضلّت مرافئها الغربية  
نرتدّ فيك ثمالةً

خرساءً فى كأسٍ مراوغةٍ ملول  
الأننا عدنا

حكاياتٍ يباريها ضباب الغيم أن تنهل أفراحاً جديدة  
نرصّد الأصداء فيك

لستحيل لغاتها العجماء موسيقا صديقة  
لكن صمت النهر يقرئنا أحاجيه العتيمة  
ويراوغ الأشواق فى دمناء بلا أصداء بارقةٍ تلوح

\*\*\*

هو ذلك النهر الذى كنا إذا نلقاه يومئٍ بالتحايا  
ويذيب فى شفة المساء أغنائى الأكوان

تصدح فى المروج  
يمضى يحلّق فوق هام النخل  
يهديها الهدايا

ويروح يمعن فى لغات الطير  
يعزفها تراتيلاً وآيا  
وصبايةً

تنداح كالنيران تورق في صدور العاشقين

\*\*\*

هو ذلك النهر الذي قد كان يوقظنا

لنروح نعدو خلف بهجتنا

ونطير فوق مراحمنا المعقود

ألويةً وتيجاناً وعيدا

ويسابق الفرح الجنجح في انفلات الريح

في ولع الصبايا

ليعيد في الأحداق أجنحةً

وينبت في حدائقها مرايا

\*\*\*

والآن إن أقبلتُ أسأله

شفةً تحدث عن صدى بناءٍ قديم

وإذا أثبتُ أريق بين يديه أصداء انعتاق الذكريات

لم يؤلنى سمعاً وأنكرنى

مثل السنين الجدب تنكر موسم الغيث القديم

\*\*\*

يأيها النهر الذى ضيعتُ فيك صبايتي

وأرقت فيك العمر عاماً بعد عام

لم أولك النكرانين ظمئت للفرح العنيد

لا ما اصطفت سبوى أغانيك المجنحة

## العذاب

وسوى مراتك التى غنيتُ فيها العشق  
يولد من تباريح العذاب  
حتى متى أصبو  
فلا أرتاد فيك سوى مواسمك الجديدة  
وسوى ارتحالك فى اندياح الموج يمضى نحو آفاقٍ غريبة؟  
حتى متى أوليك أوردتى  
تنسابُ فيك مدى من الأوراد  
ترفعها صلاةُ الخبتين  
فتردنى عن شاطئيك سدى  
أقصى فلا أستاق منك سوى سوافيك النجيلة  
وسوى صدى الظمآن  
توغل فيه هاجرةٌ غشوم

\*\*\*

يأبها النهر المدجج بالإباء  
لو جئت أخترع المدى  
أرجوه يفتح لى كوى  
ينهلَ منها الماءُ يغسلنى  
يبارك فى ما ضيعته عبر السنين  
ويذيب فوق ركام جلدي  
ذلك الصدا الذى غشاه دهرًا

ألقاه يعصر مقلتيك لظى  
ويعن في اجتياح الماء يذروه هشيما  
أكذا تثيب رفاق ليلك  
واصليك بكل أصرة رءوم  
وبكل صوب من مرامى العشق  
توحيه التباريح المهيبة  
رحمك بى  
يأيها النهر المدجج بالجنون



## ثلاثة أوجه للبراءة

---





براءةُ ذمتك امتصت الماء من مقلتيك  
فلم تقو أن يزد الوقتَ تستوضئ النهر إلا بنار السموم  
وها هو ذا النهرُ الذي خلتَ أنك تصليه سوماً  
يعود فيصليكَ من نقمة الليل  
أحزانه الموغلات العقيم  
توضاً بنارك  
وامسح على رأسك العار  
واصلب على صهوة الموت أقوالك المفتراه  
لعل البراءةُ  
إن جئت تلقى إليها المعاذير كي تطفئ النار في مقلتيك  
تواتيك بالقدر الذي كنت ترجوه يوماً

أتذكر  
نادتك أكذوبة الوقت  
منطلقاً فوق متن الأراجيف  
ممتطياً صهوة النشوة المدعاة الحرام  
فبادرت الصوت ثلتك المستفزة باللوثة الجامحة  
وغادتك حطت برجليك مهمازة النار والعنفوان  
وهأنت تصلى الذى كنت مستعصماً  
تتحاشى مداه

\*\*\*

براءة وجهك  
هذا الذى كان تحت القناع زنيماً رجيماً أثيماً  
وفوق القناع ارتدى فورة المستبد الجسور  
تحامتك تلك البراءة  
وارتد من خلفها الوثن الفائز المستثار  
فعدت كما أملت الريح دفترك المستريب الأثيم  
وعادت خطاك على مدرج النار أمثولة للتداعى  
وللنزق الخائر المستنيم  
لشهوة ليل غضوب كذوب

\*\*\*

براءة كفيك تلك التى لم تصادق مداها الأقاويل  
ما باركتها المزامير .

ما عانقتها سوى اللغة الآثمة  
 تحامتك تلك البراءة  
 فاخلع ثيابك فوق الغدير  
 وألق بما صار منك إلى الماء  
 والم شظاياك  
 غادر إلى لغة لا يضيء مداها النهار  
 وعد حيث أحلامك الرابضات  
 على شفة الموت تقفوك رعباً  
 فما زال في الشمس متسع قبل فوت النهار  
 وقبل اضطرابك أن تلج النار  
 قبل اضطرام الظلام

\*\*\*

براءاتك انثالت الآن فوقك شُبوب نار  
 وفورة حزن عصي عتي  
 تحاصرک اللغة المستحثة حظو الأقاويل  
 تمليك حرفاً ختونا  
 سديماً من العصف  
 دنيا مؤججة بالأراجيف  
 موسومةً باندلاع المواقيت  
 مرسومةً باللظى والدخان  
 تماديك في اللغو ما عاد يجديك شيئاً ودربك هذا الذي

شدته بالملاحاة

ما عاد دربا حفيّا  
وسمّتك هذا الذى وسمته الأناشيد  
ما عاد لحناً شجيّا  
إزاء الذى جئت شيئاً فريّا  
فبعد انتحالك صوت المزامير إفكا وزورا  
وبعد ارتحالك خلف تماديك دهرأ عصيّا  
فعد واقرأ النار تنبعك كيف يكون السير  
وكيف يثوب إلى شفة النهر فى الليل  
سربٌ حسيرٌ كسير  
فلا النهر يصلّيه إلا انطفاء الينابيع  
حين يجن الصدى  
ولا الليل يولّيه إلا انكفاء المواعيد  
خلف الهزيع الأخير

## أحزان التاسع من نسيان

---



### (مدخل)

إننا لنمقت أن نقيم طقوسنا  
لنخرّ تحت قوائم الأوثان  
نمنحها فنوت الوقت  
نسقيها دماء اللحظة المرخاة من وهن السنين  
وكما نحاذر أن نؤله في دمانا الريح  
نكره أن نصلي للمواقيت الكذوب  
تنحاز في دمننا المواجد للبراءة حين ترأد  
في عيون المرتجين  
ننحاز للفرع المراق على شفير الليل  
نصليه اقتحاماً واحتداماً

ونبيع في دمننا الحياة  
دون انتظار أن تواتينا بروق الوقت  
تمنحنا براءات النزوح إلى مرافينا العصىة

\*\*\*

الليلة أنطفأت بعينى المواعيد التى  
قد أجلتها الريح أزمانا حرونا  
تلك التى ساورتها دهرًا عصى البوح  
مشتعل الدماء  
وانهد فى الجحافل أذرعه  
تلك التى قد أثخننتها الموجة العمياء  
تحت سنايك الليل المغيرة  
الليلة اندلعت بأرضى اللعنة المعصوبة  
العينين تحتاز المدى  
لما ترامت خلف ناصية التواريخ العتيقة  
واستعجلتها الريح سافيةً معربةً جموحا  
ما كنت أحسب أن ليلاً فائراً بالموت  
ينتحل البروق  
ليحيل بالأفق المضمخ بالرؤى النشوى وبالعبق المجيد  
أبهاءه لهباً تجاسر أن يسيل على الدروب ويعانق القحم  
المهيبة فى ذرا بغداد يعصرها دماء  
ويبادر الأطفال فى أحلامها اللاتى انطفأ على المهاد



فتخر فوق رؤى عوالمها البريئة  
دنيا مضت تنحل فوق رءوسها شعلاً مضيئة  
ولظى وأطيافاً مفزعةً  
تخايل بالرماد وبالمدخان  
وسواق النهرين كنت أعيذها  
أن تستلين لوطاة الليل المدجح أن يغير على الصباح

\*\*\*

شلت يداى الآن وانبحجت بقلبي النار وانطفأ الغناء  
وهوت على الفرخ المؤجل سورة الإعصار تحطمه هشيما

\*\*\*

قد كنت أبصر للعراق مدى  
يعانق قبة الأقصى ويمطرها وعودا  
قد كنت أرقبه يهياً للمواعيد المشاكسة الجسور  
وأرى التوجس يستثير الحية الرقطاء  
يلؤها ارتعابا  
لما تقاعس دونها  
زمر مفزعةً بليدة  
والآن فلتهنئ ومدى فرعك المنسل  
ينتهب المدى  
واسعى. تراقي في مناكبها مخاتلةً وكيدا  
فلقد ربحت الآن صيدا

وهوت لقبضتك المديدة من ذراها  
الشَّمَّ آفاقَ عنيدة  
خَطَى على صفحاتك السوداء خطتك الوثيدة  
وتهيئي  
كى ترحم التاريخ دنيك الجديدة  
كى تستبichi ما تراخت عنه أيدي المرتجين  
ثم اركزي أعلامك الزرقاء تنهل من دموع الكبرياء  
راياتنا الفرعاء ما عادت تهش لها السماء  
ما عاد فى عزوماتها  
طوقٌ يحلق فى الفضاء  
فقد الطوين يقمن فوق الساح ألوية العزاء  
ولتهنئوا يا أصدقاء الغولة الرعاء ولترضوا منى  
ولتشربوا أنخابكم  
عسلاً تقطّر من دم الأطفال تنزع من صدور الأمهات  
ولتستطيبوا الآن رائحة الشواء تفوح من جثث العقيلات  
الشكالى

الملقيات على شفير النار تأكلهن عاصفة الحريق  
شدوا العقال على العقال  
ورتلوا سور النضال  
واستقرئوا صوب المآذن  
أن حى على القتال

ثم استديروا قبلوا رأس المغولي الجديد  
 صلوا على أعتابه  
 واستمطروا البركات من كفيه  
 وارتحلوا حجيجا  
 فلقد أتاح لكم بما أدلى به زمناً بهيجا  
 زمناً تقاطر من رؤاه مدى من الألق الطروب  
 ينسل في فرح يحاذر أن يسيل على الدروب  
 لكنما تغشى سوانحه الخفية  
 لمع بوارق يستحث نداؤها  
 صوب الخطى خلف المسارات العصية  
 شلت يداي الآن  
 وانبجست بقلبي النار  
 والنطف الغناء  
 وهوت على الفرخ المؤجل سورة الإعصار تحطمه هشيما



## إيقاعات على أنشودة المطر

27

«مع الاعتذار لذكرى شاعر العراق

الكبير بدر شاكر السياب»



مطر مطر مطر  
يا بصرة التاريخ يا بغدادُ  
يا أرياف يا حضر  
يا كربلاء يا متلوة السدر  
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر  
الآن عادتا  
نافورتين تقدحان بالأسى وبالشرر  
وشرفتين راح ينأى عنهما القمر  
من بعد ما استثار خلفه  
سحائب الظلام والقتام  
ووجه كذابٍ مختالٍ أشر

يا نجمة طعينة تلوب في المذار  
ما مر يوم ليس في العراق نار  
ما مر صبح ضارح  
ما انهار في عيونه  
درب ومسجد وقبة ودار

\*\*\*

مطر مطر مطر  
محائب ثجاجة  
بالنار والغبار والرماد والردى  
أرى على متونها  
مهيجة جحافل التتر  
وأسمع النخيل وهو يشرب المطر  
قدائفًا ملغومة  
بالموت والدماء وانكفاء الخطر  
ويانطفاء المدى  
في أعين البشر  
ما عاد ينجي من سعيها  
تدرع ولا تقيّة ولا حذر  
ما أيسر السفر  
ما بين كربلاء والرصافة اغلوله الإزار  
وبين ما يراد في الكويت . في البحرين . في قطر



يا عار أن ينداح فى السطور  
كل ساعة خبر  
يلوب فى اسم يعربى السمى والصدى  
تحت انهيار القيمة الفرعاء ماد وانتحر  
يا خذى ما يتوج العقل هامه  
يبيع قبل النفط عزة انتمائه الحميدة  
وعزة المواقف الجليلة الخطر

\*\*\*

يا دفقة تروّع النجوم فى السماء  
أرى السحاب المريبة الخطى  
تمور بالدماء  
فتستفيق ملء روى وعشة البكاء  
تشاءب المساء والغيوم ما تزال  
تسح ما تسح من دموعها الثقيل  
فوق الجسور والمعابر الخطيمة  
وفوق كربلاء والأنبارو التجف  
وفوق ما ارتاع وفوق ما ارتجف  
تنز فورة الخلائق الرجيمة  
تضيق وسط الهول والركام والخطام  
من غير أن يبادر الصباح فيعقل الجناح أو يكفكف  
الجراح

كأن طفلاً بات يهذى قبل أن ينام  
بان أمه التي أفاق منذ عام  
فلم يجدها ثم حين لج في السؤال قالوا له بعد غدٍ تعود

\*\*\*

ما مر يوم ليس في العراق نار  
ولا دم يهيمى ولا غبار  
ولا انبهار يخطف العيون في البريق  
ولا انهمار يستفز فورة الحريق  
تكابد الدروب حزنها  
في سحب الليل عليها من دم دثار

\*\*\*

وقبل لحظة اندفاق روحه  
وقبل أن يخرّ فوق صدره المهيح  
يصيح يا خليج يا خليج  
يا واهب اللؤلؤ والمخار والردى  
هأنت توفى بالوعود والعود  
هأنت تعبر الحدود  
مجللاً بفورة الغاتل الصديق  
ينسلّ بالحديد والنيران والبروق  
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق  
من زهرة يربها الفرات بالندى

ويشعل المدى  
بألف فريّة عن عالم جديد  
ينز قبل النفط في اندفاقه العنيد  
بالدم والقيح وبالصيد  
لكننى برغم ما يدور  
وما تحاكنى به القبور  
أكاد أسمع العراق يذخر الرعود  
ويخزن البروق في السهول والجبال حتى إذا ما فض  
ضمتها الرجال  
لم تترك الرياح من ثمود في الدار من أثر  
مطر مطر مطر مطر



## راية فوق رقاب الجبناء

35

«إلى أبوعمار، عندما هدد السفاح  
باغتياله في محبسه»



أيها الناسك في محرابه  
شامخاً في عنفوان الكبرياء  
قيدوا خطوك لكن المدى  
من حوالبك علو وارتقاء  
هل رأيتم موثقاً في سجنه  
تسع الأرض خطاه والسماء  
آية من عجب تدلي بها  
حين يقضى فيك للدنيا قضاء  
في طليق موثق في عاره  
وسجين مطلق في الطلقاء

فليق يخشون من صولته  
ويدارون نزيف الخيلاء

\*\*\*\*

أيها المائل في عين الردى  
مشهداً للعز رمزاً للعطاء  
رغم ليل حالك مضطرم  
بالخطايا يفتريها من يشاء  
ما تزال الأرض فيها نخبة  
حرة تحيا حياة الشرفاء  
تزن الأقدار بالقدر الذي  
لا يمارى فيه زيفٌ وادعاء  
وطن الأحرار في كل مدى  
معجباً يوليك آيات الوفاء  
يصطفيك الحق أن ترمى به  
راية فوق رقاب الجبناء  
فلنكن في قمة المجد مدى  
يتسامى من مضاء لمضاء  
ولتكن في ذمة الأرض صدى  
يترامى في نداء الشهداء  
أو تكن مرمى لعاث مجرم  
دينه بغى ودنياه اعتداء



أينما كنت ستبقى صورة  
مطفأة من تساو ريخ الإباء  
وستبقي محفلاً يزهي به  
كل من سار على درب الفداء



## أسفى على ميثاق عروتنا

41

«صديقى الذى لم يدعنى لحضله»



مثلى بمحفله يشع سنى  
 فيموج بالالاء محفله  
 قد كان فيض الفن من شفتى  
 نبلاً ينرقق حين أسأله  
 لو أنه أصفى لسبض دمي  
 ومضى إلى قلبى يواصله  
 قد كنت أبحر فى عوالمه  
 أزجى الهوى شعراً وأرسله  
 ينداح أنغاماً على وتر  
 وترق أنساماً خمائله  
 لكنه أصفى لسارية  
 تغشى سماء الحب . تعقله

ولربما شاقته نرجسة  
فهوى لعالمها يخايله

\*\*\*

قد كان لى فى الحب مستيق  
تنمى إلى العليا شمائله  
حاشا أمنٌ فليس من شيمى  
والسبق بالمعروف أجمله  
لكن قلباً عشت أحمله  
يحدو خطاه الشوق والوله  
يأسى إذا ما لامسته يد  
بمدى من الإعنائات يعضله

\*\*\*

أولسيته ودأ أدین به  
ويساق منى بالوفاء له  
قد كنت أرجو أن يواصلنى  
وإلى دمی المشبوب يوصله  
قد كان يهتف لى فتملؤنى  
من ساحة البشرى نوائله  
لكنه ما عاد واعجبنى  
لما نأت عنى رسائله .

أسفى على ميثاق عروتنا  
تعدو الرياح الهوج تقتله  
من غير سالفة ولا قود  
توقى على ذنب غوائله

\*\*\*

فكرى يسافر فى المدى قلماً  
أمضى إلى ظنى أسائله  
ماباله والعقد متصل  
يغدو لموثقة فيفصله  
لا شك حاكوا حوله شركاً  
فهوى إلى كيد يعاجله  
لكن أسائل أين فطنته

تنجيه لو تضري حبائله  
ولقد أعود إليه أعذره  
ويهيىب بى ظنى فأحمله  
للشعر شيطان ولكنه  
شيطان أقوال تغازله  
ولربما أضحى غداة غدٍ

ينداح للشعراء طائله  
يهوى بقدر الشعر يلوي به  
ليصير فى كفيه مقتله

ويعيله لهوى يراد له  
وإلى هوى لو شاء يعدله  
\*\*\*  
يا راحلاً والأفق معتكراً  
بالغيم تضنيه راحله  
آسى لمن تعلّيه قامته  
يهوى بها لما يراد له



## بين يديّ مدينة مقاتلة

47

«في الذكرى السابعة والأربعين

للعُدوان الثلاثي على مدينة بورسعيد»



وإلى

كان عهداً من الصبا والصباية  
كم تملّيتُ عذبه وعذابه  
كان زهو الشباب يدفق في العمر  
كما الغيث ينتمى للسحابة  
يسكب النور في الشاعر فيضاً  
يعشق القلب دفته وانسكابه  
يتملاه كالعصافير شدواً  
وكقطر الندى وصوت الربابة  
يحسن الظن بالمقادير تجري  
لا تماريه شكه وارتبابه

يتعاطى الهوى مع الكون شعراً  
 مرحاً بالهوى يعيش شبابه  
 قد تمادى به انعطافاً وشوقاً  
 ووعاه قراءةً وكتابة  
 جُنَّ بالشعر والغناء وماجت  
 بين جنبه فورةً مستطابة  
 للأهازيج وارتعاش المرايا  
 وصدى البحر مستفزاً عبابه  
 لم ترعه الحياةً بعد ولم تر  
 م خطاه لساحة مسترابة  
 كان كالنسمة المهيضة تسرى  
 فى المساء الكظيم تحيى جنباه  
 كانتشاء الربيع . كالصبح يندا  
 ح مع النور شاقه واستطابه

\*\*\*

«2»

وإذا بغتةً يَجُنْ نذير  
 ويعادي به عدوٌ مغير  
 كُبريان استعانتا بصغير  
 مدَّة كيده اللئيم الحقير

حين ماجت بنا الرياح العرواتي  
واستشار المدى حديثاً مشير  
واستفزَّ الإباء عبر بلادى  
حقها الضائع الحسير الأسير  
فاستردته عنوةً واقتدارا  
واعلى متنه العليم الخبير  
أجمعوا أمرهم وجاءوا بليل  
نجمه مطفأً عمىً ضرير  
وإذا فى الدروب شعبٌ عصيٌ  
تحت أردانه يفور النكير  
كان شعباً مسالماً لا يوائى  
فى بشاشاته العتيء العسير  
وحقيقاً مصافياً ذا مزاج  
دينه العفو والرضا والسرور  
حائلاً يعشق الغناء رهيفاً  
لهواه بكل فن حضور  
لم يبادر سواه بالسوء يوماً  
لا ولم يوق شره المستطير  
فإذا الشعب حين جاءوا بليل  
عاصفٌ قاصفٌ هصورٌ جُور

صار عزم الرجال طوفان نار  
وعدا عمره الصبى الغرير  
أعجلته الملاحم البيض حتى  
ماج في عزمه الأسن الكبير  
وإذا في الدروب تنمو الأسا  
طير إذا جُنَّ في القلوب السعير  
دونها فيلق تداعى شظايا  
حين ضاق المدى وعزَّ النصير

\*\*\*

(3)

ذلك العهد في خضم التواريخ  
وفي غمرة الليالى العنيدة  
يا شباب المدينة الغض مهلاً  
هل سألتكم أيامكم أن تعيده؟  
هل سألتكم آباءكم كيف عانوا  
في لظى الهول ناره أو حديده؟  
كيف أضحوا غداة يوم ثقل  
مستثير بروقه أو رعوده  
قاذفات النيران تنفث هولاً  
تتمادى به الرياح الشديدة

وعلى الشاطئ المباغت بالهول  
يمور الشيطان يحصى جنوده  
وإذا أسفل الكبائن تندا  
ح رياح مسومات عنيدة  
وإذا فتية تلفعت الخمد  
أرادته حية أو شهيدة  
برزت للعدو تلقاه صيداً  
عقدت عزمها على أن تصيده

\*\*\*

هل سألتكم آباءكم في «عبادى»  
كيف يوم الوعيد أوفى وعيده؟  
فى «الجميل» الذى تمثل عيداً  
مهرجائاً للذكريات الجميدة  
مثلكم فتية ترامت خطاها  
شاخصات إلى السماء البعيدة  
سدت الأفق بالمظلات حتى  
لم تعد فيه فرجة مستزيدة  
جحفل بالغ مداه من الروع  
ومستنصر خطاه المريدة  
صار فى قبضة المغاوير بعضاً  
من شطايا وبعض بعض بديده

قبل أن تهبط المظلات تهوى  
طعمةً للفناء تعلّى رصيده  
والنداء المسوم الروح يتلو  
ويغنى فى كل أفق قصيدة  
مثلما عازف يوقع لنا  
فتعيد الآفاق عذباً نشيده

\*\*\*

هل سألتكم آباءكم كيف كانوا  
فى عيون الردى عيوناً جديدة؟  
ترقب اللحظة التى يتسامى  
دونها الموت للحياة الرغيدة  
كيف كان «المناء» جذوة نار  
والعقيلات هائمات شديدة  
قبل أن يصبح الضرام ركناً  
وتصيد اللظى حطاماً بديداً  
كيف عسران والرفاق تنادوا  
لمقام الخلود يدعوا شهيداً  
فإذا منهم الذى صار روحاً  
بارك الله فى الشهادة عيده  
وإذا منهم الذى صار رمزاً  
نتملاه فى حياة مديدة



حين صاروا كتاب عشق تلديد  
وهب الله للزمان خلوده  
يوغل الدهر في المسير وتبقى  
ذكريات النضال فيهم جديدة

\*\*\*

يا شباب المدينة الغضّ هلاً  
قد وعيتم آيات عزٍ مجيدة  
أينما بادرت خطاكم نهائراً  
أو أظلتكم الأماسي الرغيدة  
في «الزهرة» التي ترامت رحاباً  
و«العبور» التي تنامت مديدة  
وعلى شرف «السلام» وفي الأُر  
جاء تختال بالحياة السعيدة  
لم تعيشوا مشاهد العز ترى  
بالذي كان حين أعلت بنوده  
هذه الأرض قبلوها وعودوا  
باركوا تحتها الرفات الشهيدة  
واجعلوا اليوم من ثراها مصلى  
واجعلوها عقيدةً في العقيدة  
هي أهدتكم التواريخ مجدداً  
كلما أوغلت مضت كي تعيده

هي فوق الزمان ركن «مشيدة»  
دونه توهن القلاع المشيدة  
وهي في إرثكم قلادة عز  
توجت مفرق الزمان وجيده  
تلك أمجادكم فعضوا عليها  
ورثوها الزمان تحيي تليدة  
وهي ديوان عشككم فاحفظوه  
واقراءوا ورده وغنوا نشيدة

## من مفكرة مواطن مصرى

---

57

غداه السابع من أكتوبر عام ١٩٧٣



كنت استخفيت وراء قناع من فاجعتي  
أتلمس وجهها غير الوجه  
وسمتاً لا يفشي عني للغرباء  
كنت تماذيت إلى أكنان الظلمة  
أبحث لي عن مأوى  
يسترني عن حدقات الأعين  
لا تتغامز بي  
تصنع من قصة عروبي  
وحكايات تتعقبني ذعرا  
أمثلة عارٍ يسخني قزماً مهزولاً  
فلقاً . من داح السيرة

ينضح من آبار النعمة  
تقرئ كل الكون ببياني الخائر  
وتقاويم الذعر الناشب في الأضلاع الصدئة

\*\*\*

مذهولاً كنت أمارس دهشتي المرقومة في العينين  
وفي أفنية القلب المضنى  
أتمثل إخوتي الملقين على صحراء التيه  
وبنى المنسلين لوإذا  
يترجون مساحة ظل تؤويهم  
أوقطرة ماء

\*\*\*

قد كنت أجندل تحت شمس لا تعرفنى  
ويساوم فى الليل طقوس الحزن  
يمارس فى مراسيم الوقت المبرور  
وأنا منداح فى عاصفة خرقاء غبية  
تمسخ تاريخي وتقاويم وجودي  
تنسيني زمناً أبلق  
كنت أعافر فيه الحلم بهياً مفتوناً نزقا  
لا أذكر إلا زمن الصاخة  
وتهاويل الفزع المجنون

\*\*\*

قد كنت وراء العتمة أجهد أن أستبدل ثوبى  
بشباب لا ينكرنى فيها الوقت  
ولا تعرفها فى عيون الشمأتين  
كنت استخفاءً من أحداق الشمس  
أمزق أوراقى وبطاقة تعريفى  
أنحل لى سمناً واسماً وتضاريس وبساتين  
وأبدل فى عنوانى كل مساءً رقماً

\*\*\*

ومجازاً من عربى وضياعى واستخذاء خطاى  
قد كنت كذوباً أزعم لى  
عُرفاءً وقربى ومريدين  
ورفاقاً لا يمتنون لصدقى  
وأصولاً لا تنتسب لعرقى  
وكتاباً وتواريخ وزلفى لا تنحاز إلى

\*\*\*

وإذا بى  
ذات يوم ناتئ من زمن  
لم يكن يوحى بظل لا ولا شمس ولا ليل مضوى  
ذات يوم  
غادر الظلمة منسللاً إلى عمق التواريخ البهية  
وإلى صوب التراثيل النبوية

وإلى المعراج يفضى  
 للسموات المضيئات العلية  
 وإذا الأفياء تنهل وترى  
 بالفيوض النيرات القدسية  
 وإذا العالم يرتج ويصغي  
 زائغ الفكر مهولاً  
 بالفجاءات التي تذهل ألباب الحبارى يكذب الظن  
 ويؤلى الأمر دنيا من تهاويل السكارى  
 يمسح الظلمة عن وجه تهادى  
 يوسع الأفق بلا ذنب تولاه اعتذارا  
 ثم أمسى  
 ليس يوليه تأويل المقولات الكذوب  
 لا ولا يوليه وجهاً مستعارا  
 دونه تساقط الأوجه ذلاً وانكسارا

\*\*\*

وإذا ابى  
 فى مساءٍ وضحي  
 أحتمى فى كنف النور بماوى الأصفياء  
 وأخلى موقعى الموسوم فى ليل اليتامى الغرباء  
 أذن الفجر على ساريتى  
 وانطوى بى زمن التيه وعادت



لى توارىخى البتول  
 فجرى المنداح أبقى لى من العمر بقايا  
 موفدات من سماء المجد تنهل مرايا  
 رد لى كينونتى الملقاة فى ليل خرافى مداه  
 سدّد الدين وأوفى  
 بتوارىخ انبعاشى للحياة  
 أرئدى ثوبى الذى حاكته لى  
 كفه البرّة من زهو الشموس  
 ومن الأفراح فى عزف الرياح  
 من صدى الأنباء مما تنجلي عن وجهه صحف الصباح  
 تتداعى بالنبوءات التى كنّ خيالا  
 والتى كن ضلالا  
 خلف الباب تراهن عماء وخبالا  
 ثم أضحى كتاباً  
 قوله الصدق ودعواه اليقين  
 واهم من يتداعى  
 بالنبوءات المهيضات الكذوب  
 من يداجى الفجر بالزور ويرديه قتيلا  
 من يرى فى صحوة الشمس دليلاً مستحيلا  
 يفترى الزيف ويوحى بالمقولات الرديئة  
 من يبيع الصدق مغلولاً مغمى

## بتأويل الخطيئة

\*\*\*

وإذا بين مساء وضحي  
عرف النور طريقه  
وترامت في مدى الأكوام آيات صديقة  
عندها أدركت لي بيتاً وسمتاً وتضاريس وعنواناً جليلاً  
وبدا وجهي مختالاً فخوراً وحفياً  
ودمي المنساب عطراً  
في مدى التيه زكياً  
كاد أن يصبح في الكون رسولا ونبيا  
وإذا بي  
أقر الرحلة في سيناء أتلوها كتاباً للصلاة  
فوقها قد صلت العصر جنود  
وبنود وجباه وشفاه  
وتسابيح وأوراد بريئة  
وسوافيها التي انساحت إلى الوادي  
بطاقات مضيئة  
تحمل البشرى بيوم العيد  
والزهو بأوب الغرباء  
بالجباه السمر ترتاد مراد الكبرياء  
وتغادى ثأرها المضم نارا في الصدور

يستحيل الثأر أنغاماً وعشقاً ونحايا  
ونداءات سلام ظافر  
مهرجناً للأناشيد شموساً ومرايا  
وارتداداً للمواعيد التي ما أخلفتها  
دورة التاريخ منذ انداحت الأرض الخصيبة  
تهب الدنيا فراعين ومجداً ومواسم  
وارتواء من شفاه النيل تنهلُ ندى للعالمين  
تحمل الإبريق والكاس وتسقى الظامئين  
برّة معطاء يحصى عمرها عمر السنين.



شكوتك للعشق



على عهد أيامنا كنت لى  
حبيباً قريباً كما كنت لك  
وكنتَ لعيني أفراحها .  
وكنت لقلبي مليكاً ملك  
وكنتُ مناك التى ترجيها  
وكنتُ هواءك الذى طاب لك  
فكيف تحولت عن دريسنا  
ومن ذا الذى يا ترى بذلك  
حفظتك بالروح ظمآنه  
وغلقت روحى عمّن سواك  
وأغمضت عيني عن كل شمس  
تخايل بالنور حتى أراك

وكنْتُ إذا ما تراءت لقلبي  
ظلال من الشك تحددو خطاك  
أجادل بالروح وروحي وأمضي  
على أملٍ كاذبٍ في هواك

\*\*\*

أأغري فؤادك دربً غريباً  
ولاح لعينيك أنسا وطيبا  
فرحت تجرّب هذا الطريق  
وعدتُ أنا منك دريّا غريبا  
أم ارتدّ فيك غرامٌ قديمٌ  
صحا بعد أن نام يوماً عجيبا  
فسارعت تحيي مواعيده  
وكان غرامي ادعاءً كذوبا

\*\*\*

شكوتك للعشق لما يصير  
عهداً موثقةً بالوفاء  
وقد علمتني خطاياك أني  
ألوذ من العشق بالكبرياء  
وأن اتحمدي تحديّ غراماً مريباً  
يطير به الغدر أني يشاء  
فمالي سوى عزتي موطن  
ومالي سوى كبريائي رداء



النهايات



كلما عن لفكرى  
أن عمر الورد محسوب بنفح الطل  
باستغشاء فيء الظل  
بالريح التي تومض إيماضاً خفياً  
بارتواء الليل من أنداء عطر في المساء  
أن فيء النهر مندور بفيء الوقت  
مسطور بما قد تصطفيه الريح  
رفداً وعطاءً  
أن ميثاق اندلاع الشمس في الأرض صباحاً ومساءً  
زهوة في الأفق تنخل عماء في السماء  
حينما يرخى على الكون من العتمة ستر وغطاء

أن شوق المزنة المرخاة غيثا  
واندفاقاً وانعتاقاً  
قد تداعى ظمأ القيعان يحسوه ترابا  
وتداعت بعده القيعان بيداً ويبابا  
لم تهين جدولا للطير ينداح لسقيا  
حينما يوغل فيه القيظ يرديه قتيلا

\*\*\*

النهايات سفير دافق مشتعل  
والمطايا للنهايات عفيه  
وخطى الريح على الأفق عييه  
لا يواتيها المدى المبسوط أن تغوى بأشواق السفر  
فالنهايات تهاويل تروع الليل  
تنساح على خطو النهار  
والمواعيد قفار  
والمرايا في انكسار الضوء إعصار ونار

\*\*\*

حدثيني بالمدى يا هذه الريح العيبة  
وابسطى لى ساعة تنشلى  
من تهاويمى التى ينبت فيها الارتحال  
فكرة مشلولة الساقين عجماء كليله  
حدثيني بالنهايات البعيدة حينما تقوين أن تمتد للأفق

ذراعاك العفوية

تقبضين الأنجم الملقاة من خلف سدیم الأحجيات

\*\*\*

حدثيني عن براءاتي التي تعقلني

وعن التوق الذي يوغل مسنوناً كحد السيف لكن في الهواء

حينما يومض في أفق النهايات الخواء

حدثني يا هذه الريح وقولي

كيف تفضي للمدى الرحب دروب

ركزت فيها العلامات التي تبنيك دوما

أن خط السير مرصود مغمى

ليس يفضيك سوى للحافة الملساء تهوى

في انحدار الصخر للبحر العميق

\*\*\*

النهايات كتاب

أخرس الحرف مضىء بالتأويل المهيضة

وبأوراد التراتيل البغايا المفتراة

اقرئي لى يا عيون الريح سطرا

فى كتاب الزور ينهينى لوعد

لا تداجيني خطاه

يتنزى فى دمي حلمًا وشرقًا وانتظاراً

إن ترى خلف التأويل المهيضات البغايا

بارقاً ينهل ينهل يوماً  
من متون الصدق  
من لون البراءات البتول  
فلعلني  
لم تعد لي قدرة أحسن فيها  
أنطق الحرف الذي صار مرايا حجرية  
أو صدى برق كذوب خادع  
ليس يوحى لي بظل  
أو غمام أو مطر

أبى





أيها المائل دوماً في دمائي  
تستثير اللغة النشوى  
وترتد إلى القلب وصايا  
منذ أن رافقت دنياك صبيا  
مستشارا بالهوى والدَّهش المعقود  
خلف الأسئلة  
واندياح القامة الفرعاء يوحى لى بها ظل المآذن  
منذ أن شبَّ بقلبي  
وتداعى فى تضاعيف وجودى  
صوبك الممتد فى أعماق دنياى الصغيرة  
يصطفى لى منك أفرحاً وليدة

أتملأها بشوق المغرمين  
وأنا أرتاد هذا الدهش الممتد فيّ  
كل ما فيّ بدنياك حفيّ  
بامتداداتك في فكري التي لا تنتهي  
والتي كنت بها بين لداتي أتباهي  
كلما أذكر إذ كنت تماشيني صباحاً ومساءً  
مالئاً قبضتك البرّة بالكف الصبية  
كان إحساساً عجيباً  
يتمادي في رؤاي  
أننى أملك كل الكون يحصى خيالي  
كل ما أملت من كل الرغاب  
كنت أنت القادر الأوفى لأن تملأني  
ثقةً تغني خيالي  
بمراياي التي أرقب فيها  
كل أحلامي التي كنت أعياها  
والتي لا يدعى الطفل إزائي  
فطنة تدنى مداها لليقين  
وإذا ما انداحت الدنيا أمامي  
صار لي منك كتابٌ  
أتملى فيه دنياك العجيبة

\*\*\*

مقتراً لم تعطك الدنيا سوى كفيك  
والقلب المنيا  
والمدى الممنوح للعشق لكى يغدو موصولاً رحيباً  
واحتواءً للمقادير تفاديهما صيلاً واحتيالاً  
غير أنى شمت فيك العزة الفرعاء أتلوها كتاباً  
كلما أمعن فى أوراده

تستبيني  
فيه أشواق الأوبة الطيبين  
ويلاقيني مليئاً  
بارتعاش الخوف منسلاً إلى ماء الوضوء  
دينك العفوى مغموساً بخبز الفقراء  
وتعاوذك ألا

يوجس الريب إلى خبز الكفاف  
حين تستبرئ من أوزار دنيا المتعبين  
لترى فى حلمك المعقود قبل الفجر  
أطياف المواعيد البتول

\*\*\*

كنت أنداح إلى القيعان  
أرتادُ تباريح الليالي المطفأة  
ربما شرقت أو غربت أو شمالت  
أو صرت جنوباً

موفداً من قلقٍ مضمن  
ومن جيرة شكٍ وارتياب  
ومن الأوزار تنهال بها سوط عذاب  
فوق ظهري  
حلقة الليل ووعشاء الدروب  
علني أظفر يوماً  
بجني الفكرة يضوى في ضميري  
غير أني  
وأنا المقرور بين الكتب في ليل الشتاء  
والمعاني في اندلاع القیظ ألوان العناء  
باحثاً عن وردة النار التي تشعل دربي  
لم أجد لي في ارتحالي المر بعضاً من بقايا  
كاندفاق الحكمة المرخاة من كفيك  
من بين الشنايا  
لم تحزها من أساطير الزمان  
لا ولم تقرأ بها سر بيان  
إنما ألفت مداها  
بين عطفك الموائيق البريقات الوضيئة  
من فيوض الله  
من إخبات شوق الخبتين

حينما يزهي بما يؤثر عن ذخر وبسط وامتلاء  
وبأشباع وجه  
وبتاريخ مضاء  
كنت أزهي  
بصيب العرق الناضح من كفك  
والمعقود تاجاً بجبينك  
وبزنديك اللذين انتصبا  
مثل تمثالين في بهو الأساطير القديمة  
كان إثارك للجهد تواتيه اقتداراً واعتصاراً  
وتمازيه لكى ينداح غوثاً للصغار  
عزة أزهي بأن أحملها  
فوق صدرى المرهف العارى وساما

\*\*\*

كان يظنيك شقاء متعب محترق  
أن ترى حلمك موءوداً فلا أمضى على الدرب المضى  
ولكيلا يستحيل الحلم ذكرى  
لمدى ليل صدى  
وردى شوق برى  
كنت تستنسخ من ماعونك المكثود ماعوناً جديداً  
وتباديني به  
مفعم الخاطر بالحمد هنيئاً وسعيداً

أودع المنة في قلبي وروحي وضميرى  
ثم أمضى بالكفاف المانح القلب كنوزا  
فأريك اللحظة المزهوة الجدلى  
تباريك الفناء

\*\*\*

ما يزال الدهش الطفلى فى  
مائلاً يملؤنى تيهاً وإعجاباً وعجبا  
من شجون البحر تستهوى بها  
درباً قدربا  
ذلك البحر الذى صغت لنا منه الأغاني  
يا له من طائر مشتعل  
فوق أبراجك من ذات العماد  
يختفى حيناً . رخياً  
كلما أدعوه عاد  
لأرى فيه المرايا  
مشعلات  
ببروق الماء والأصداف والتبر المذاب  
وصبايا البحر  
والجن الذى يسكن قيعان العباب  
مالتاً كفى من فيض الهدايا  
من جنى كل البلاد

حين يمضى بى على ريح ذلول طيعة  
فى سكون الفصل أستاذى ينادى سندباد  
كنت أنت المائل الماضى على تلك المرايا  
تستفز البحر والريح بلا ماء وزاد  
كنت أنت الباسط الغيب على درب خيالى والمواتى  
بحكايات اندحار الموج والريح وأنواء الليالى  
لا تبالى  
أن يكون الموت مرصوداً على قوس المدار  
أو يكون الليل موءوداً على صدر النهار

\*\*\*

أيها المائل دوماً فى الدماء  
يا خيالاً  
كلما خلق فى الأفق نداء  
جئتُ من خلفك مأموماً أصلى  
رغم هذا السفر الممدود ما بين ضلوعى  
وارتعاشاتك فى أفق النداءات العلوية  
يا تباريحى الزكية  
ومواعيد صلاتى  
وفيوضات العطاء الموسمية  
ادعُ لى  
وأنا المدعو أن أملأ وردى بالدعاء

كلما وافى صباحٌ  
كلما جنّ مساء  
كلما طاف بروحي  
من محياك ضياء  
من محياك ضياء  
من محياك ضياء



## إن البطولة لا تموت

87

«تأبين البطل الضدائي سيد عسران قاتل  
كابتن وليمز قائد المخابرات البريطانية في بورسعيد  
خلال العدوان الثلاثي على المدينة عام 1956»



ذات انطفاء مغرب  
برز النعمى وقال لى: عسران مات  
عميت واستغشيت وأنجاب المدى  
شيئاً فشيئاً قلت لا

يا سيدى

إن البطولة لا تموت  
إن البطولة مثلُ حدِّ الشمس منهلاً بأبعاد المدى  
تهبُ الحياة وتختفى بالأرض.

تحتضن السماء

وتمرور فى الوجدان أشواقاً مراوغة دعوى  
أرايتها يا سيدى شمساً تموت ؟!

وكمثل نور البرق  
 ممتطياً قباب النار  
 مندلعاً بأفنية الظلام  
 أرايته يا سيدي برقاً يموت ؟  
 وكمثل موج البحر منبطحاً على الشيطان  
 موصولاً بسر الماء من تحت العباب  
 أرايته يا سيدي موجاً يموت ؟  
 وكمثل أمطار الشتاء تهلّ في ميقاتها العلوى  
 تمسح عن وجوه الأرض إعنات السنين  
 وتقر في أرحامها  
 سرّ اندلاع الأرض بالأفياء  
 توسعها نوالاً  
 أرايته يا سيدي مطراً يموت ؟  
 يا سيدي  
 إن البطولة لا تموت

\*\*\*

دهرٌ يفوتُ وألفٌ عاديةٌ تفوت  
 تتزاحم العثرات فوق دروبنا  
 نجتازها . نجتازنا  
 نمضى ونقرئها السكوت  
 وتموت فوق كواهل الأيام  
 أسرعُ تسابق في المدى

كانت تحاذر أن تموت  
لكنما عبق البطولة لا يموت

\*\*\*

تواصل الكرب التي ينشق عنها الليل  
توغل خلف أصداء المدى  
لكنها تنأى  
وتبحر في المسافات التي صدئت عليها الذكريات  
تدور في فلك صموت  
تمضي تغادر أفقنا المشحون بالشجن المداور  
تختفى تفنى . تموت  
لكنما ألق البطولة لا يموت

\*\*\*

خمسون عاماً  
والرؤى في المشهد الماثور تومض في جوانحنا  
تحيا وتختصر المسافات العميقة  
والسنين إلى السنين  
لتزفه ألقاً  
يصافح ذكريات العشق في دمننا  
ويولد في تواريخ النضال

\*\*\*

هذا الفتى المنساب في دمننا  
مازال في خلد الزمان فتي صغيراً

عاصف الأحلام منداح الخطى  
ما اختال يوماً بالبطولة  
وهى فوق جبينه  
تاج . مزامير . أغانٍ وابتهالاتٍ وراية  
وسنا يشع وأنجم تضوى وإكليل وآية  
يا سيدى  
عسران لا ما مات  
ما انداح مثل قوافل الموتى  
تنهلُ في الميلاد . تحيا . ترتضى فى الكون  
تمشى فى مناكبه . تموت  
ما مات من ميلاده  
وهج وسيرته انكباب فوق صدر الشمس  
يقرؤها اندلاعاً واندفاعاً  
من خطوه  
سور تضوى فى كتاب العشق يحكيها  
المدى للأمسيات  
من عشقه المرقوم فوق صحائف الأيام  
يتلى مثل أوراد القنوت  
أكذا أيموت ؟ !  
يا سيدى  
إن البطولة لا تموت

## غنيت مكة

مع الاعتذار لفيروز





غنيت مكة أهلها الصيدا  
وبكيت فيها الحلم موءودا  
وجثوت عند البيت منكسراً  
أدعوه رب البيت معبودا  
وأتيته دار المعز فما  
أبصرت فيها العز معبودا  
ساءلت نهر النيل عن لمع  
في شطه كانت عناقيدا  
ما بالها أشواقها انطقات  
أمسين تسهيداً وتنهيدا  
أهوي النذير على بشاشتها  
وأما فيها البشر والعيدا

لما تداعى خلف أمتها  
كيدٌ لئيمٍ دونها كيدا  
قطب الزمان وخلفه ذنبٌ  
دانت له الدنيا مواعيدا  
يُتلى على إيقاعه نغمٌ  
من شدَّ عنه بات مفقودا

\*\*\*

وعلى خليج النار راحلي  
لم تلق إلا الدرب مسدودا  
أربابه أضحوأ خاتلم  
فى الحب عشاقا معاميدا  
لا ينشدون على ربابته  
إلا كما يهوى الأناشيدا  
شاءوا الخنوع له فصيرهم  
جرذان ليل . رملة . دودا  
باعوا العراق له بلا ثمن  
إلا بوعدٍ كان موعودا  
أن يربعوا فى ظل قامته  
إن كان عهد الذئب معهودا  
ثأر العراق إذا يطار له  
باعوا به سوداً مناكيدا

صَوَّبُ الخَليج نأى لَمُتَجَع  
 يَبغى لَدِيهِ الآنُ تَجْدِيداً  
 ساءَلْتُ وَجْهَ الشَّمسِ عَنِ أَلقِ  
 فِي أَفْقِها قَدْ كانَ مَشْهُوداً  
 عَنِ عارِضٍ يَنسَابُ مِنْ مَضَرٍ  
 قَدْ كانَ فِي الأَعْراقِ مَمْدُوداً  
 واحسَرْتا أَلْفِيَتَهُ مَرْقاً  
 يَنأى بِهِ تِيهاً وَتَشْرِيداً

\*\*\*

ما رِيتُ وَجْهَ الشَّامِ أَحْسَبَهُ  
 حَلَمى الَّذى ما زالَ مَرصُوداً  
 أَحْصَيْتَهُ فِي الثَّائِرِينَ فَمَا  
 أَبْصَرْتُ فِيهِ العِزَّمَ مَشْدُوداً  
 قَدْ كانَ يَشْدُو فِي مَلاحِمِهِ  
 يَشْجى الحَنينَ وَيَشْعَلُ الجُوداً  
 أَضْحى وَصَمْتُ فِي المِلْهاتِ فَمَا  
 يَنْداحُ قِيْشاراً وَلا عَوداً  
 أَضْحى الكَرِمْ فَتى يَرادُ لَهُ  
 لَوْ أَنَّهُ فِي قَيْدِهِ قَيْداً

\*\*\*

وسريت للأقصى المبارك لا  
آلوه تعظيماً وتمجيذاً  
وأعيذه أن يستكين إذا  
غالوا به الأفراح والعيда  
وأذوب في روح الشهيد إذا  
تقصى الشهادة عاد مولودا  
تتناسل الأرواح من دمه  
وتعود تشتاق المواعيدا

\*\*\*

يا نائمين على أسرتهن  
كيف المنى أمست أغاريدا  
أغفوا على الأحلام وارفة  
خضراء فانهلت عناقيدا  
كيف الهوى لو أن طائر كم  
عن أيكه ينداح مطرودا  
يا عاره من باع نخوته  
وشرى بها أحلامه السودا

\*\*\*

فتشت عن نار مقدسة  
ألقي بها عرباً أجاويدا

لا يوثقون إلى أعنتهم  
دربا غوى القصد منكودا  
ما انداح إلا للسراب وما  
ألفيت إلا مسلماً جيداً  
للطوق يهديه إلى زمن  
يضرى به نازاً وأخدودا

\*\*\*

غنيت مكة أهلها الصيدا  
وبكيت فيها الحلم موءودا  
ومضيتُ أحصيها مقابرنا  
وكللت إحصاء وتعديدا  
أمثالنا عدداً وما برحت  
تحتاج فينا الماء والبيدا  
كنا بأيدينا نشيدها  
حتى ملأنا الأرض تشييدا



هو دين في ذمتي





وهن العظم واستحالت برأسى  
عتمة الليل أنجمًا وجليدا  
ومشى الدهر فى كيانى حثيثًا  
ولقد كان جليدا وحديدا  
رعشة وانحناء ظهر وذكرى  
عنقوان غدا ديبا وثيدا  
وسهام مصوبات يراها  
عاصف جن فى الدماء عنيدا  
ذاك ما صرت مستكينا إليه  
ومسوقًا إليه سوقًا شديدًا  
غير أنى وتحت ظلك أغفو  
مفعم القلب راضيًا وسعيدا

لا أبالي بما تكن الليالي  
منعماً جاء أو عصياً كنوداً

\*\*\*

حين غشى الضباب لون دروبى  
وتمادى الظلام فى ناظرىا  
وغدت رحلتى إلى الكتب والأقلام  
درباً مشاكساً وعصياً  
كنت لى أعينى وكنت يمينى  
والمرايا التى تفيض علياً  
حين غامت خواطرى وخيالى  
وتخبطت فى الظنون عمياً  
وتماديت فى المتاهات حتى  
صرت حيران ناسياً منسياً  
كنت لى فيض خاطرى وهده  
ودليلى يقود خطوى إلياً  
لا عدت الضياء من نور عينيك  
ولا فطنة تضىء اغنياً

\*\*\*

صرت من طول ما استنفزتك أو جاء  
عى طبيبى ومسترد دوائى

لا تنامين قبل أن تطمئننى  
أنسى نلت من دواء المساء  
وتبيتين تحلمين بأنى  
فى غدٍ وارد مراد الشفاء  
ربما تعففين يوماً إذا ما  
ضقت من كثرة الهموم إزائى  
فتراحيت عن دواء مرير  
أو تخليت عن نظام وقائى  
غير أنى أرى الحنان دفيئاً  
مثل حقق السنا ودفق السماء  
وأرى الدمع موشكاً أن يغنى  
خلف جفنيك فى لحون الوفاء

\*\*\*

بحياتى التى سهرت عليها  
وبقلبي الذى يذوب حيننا  
لست أوفيك بعض ما فى يقينى  
من أياذ تواصلت بى سنيـنا  
كنت لى خيمة تظلل عمراً  
كان للشمس والعراء رهينا  
فتماديت فى هواه نسيماً  
وتراميت فى صداه لحونا

يا لها الآن من خواطر تسري  
في ضمير المدي تثير الشجوننا  
قد تولى زماننا واحتواننا  
عالم بالأسى يجن جنونا  
عالم مشغل الخطى بالخطايا  
ثائر النار مستفزاً حرونا  
كنت لي فيه واحتى وكرومي  
ونداماي والأليف الأميننا  
يا شعاعاً من المنى كيف أنسى  
مَوْثِقاً مغدقاً وعهداً متيننا  
كلُّ ما كنته حناناً وحباً  
واحتفاءً وفرحةً وفتونا  
هو دين في ذمتي سوف أبقي  
لمدى العمر بالوفاء مديننا

النصرآت يا أمير المؤمنين



هو ذا يعود محرّم  
يتلو ملاحمه الدم  
ويعود مشتملاً عباءته المدممة القديمة  
متلفعاً  
أحزانه الملتأثة الأشواق بالوجع القديم  
هو ذا يعود محرّم  
يدلى بذكرى النار والإعصار  
يوغل فى التواريخ المهيضة  
أيامه تنسلّ عبر زمانها  
سوداً كالسنة الحراب  
هى ذى تعاود كربلاء النوح من خلف القتام

وعلى ثراها المضم القانى المضمخ بالتأويل

البريئة

ينداح من فيض السماء

كأنه الدِّيم السكوب المترعة

ما أروعه

ما أسجعه

هوذا الحسين يعود يفترع المدى

ويشق قلب الليل تسبقه تباشير الصباح

هو ذا يعود مضرجاً بالعطر

ممتطيا متون الريح

منهلاً بلون الكبرياء

هو ذا أضاء شموعه

ولوى أعنته وجاء

وعلى ميامنه تخب كتائب

تنداح بالألق المبين

وبشائر الفتح المسافر للمدى

حتى وإن حم الردى

حتى وإن ساخت قوائم خيله الفرعاء

فى اليوم الحزين

فالنصر آتٍ يا أمير المؤمنين

هوذا الحسين يعود منكسر القنا



ويعود منتصر الإياب  
ما عمره عن ساحة الأشواق غاب  
هوذا يعود كأنه  
ما ناشه ظفر وما أرداه ناب  
لا تنحنى عقبى سوافيها العقاب  
حتي وإن خارت قوادمها  
وتقاذفتها الريح واندلعت شظايا  
ستموت وهي تراود الآفاق عن أحلامها  
وتبشها لغة تعانق في مساريها النجوم  
هو ذا يعود  
وكتابه بيمينه  
قسم ليختر من غاشية الردى  
ليعود في الأسطورة النشوى  
شهيداً من جديد

\*\*\*

هو ذا يزيد وما هو الثقفي جاء  
ليخوض كالإعصار في لجج الدماء  
المشهد المنكود يوغل آتياً  
من خلف أسوار الزمان  
ليعاود المأساة. يوحىها صدى  
لا يستكين ولا يغادر. لا يريم

هو ذا الحسين تقاسمت  
أشلاءه الآفاق تنسله لهيبا  
ينداح فى كل المدائن  
يوقظ الألقى المغادر من سنين

\*\*\*

قد كان يفترش الثرى  
ومداه يولد فى الثريا  
الآن تحتشد الجموع المصطفاة المؤمنة  
لترده جسداً يطل على التواريخ الحزينة  
هى ذى عقائله ينحن وينتحن يقمن مأتمه  
على كل الدروب  
وبنوه فى كل المفارق يرحلون  
من خلفه تعدو الكتائب مثقلات بالأقاويل الكذوب  
مستنسخات من زمان تُفترى فيه البراءة  
يستحيل الصدق مينا  
يحملن ألوية كرايات البغايا  
يتلون أدعية تحاذر أن تجادل عن نبي  
يختانها النبأ الدعى  
تنبو بها الدنيا سماوات وآفاقاً وأرضا  
ويقمن فوق ضفافها الأوزار  
نافلة وفرضا

وصدى يدور مع الموائيق المراوغة الخئون  
هو ذا الحسين يعود مندلقا على وجه الثرى  
يجرى جزاء المارقين وتفتري فيه الدعاوى  
ويهبوء بالنار التي آوته فى وهج السنين  
هو ذا الحسين يعود فارتقبوا  
كيف الحسين يعاجل القدر القديم



## من أحاديث الهدد

لسليمان الحكيم



لا تلمنى يا نبى الله وامنحنى من الصفح نصيبا  
كثرت منى الخطايا  
واستدارت بى الرياح الهوج أن أمثل  
قدام النبى  
قد تقاصيتُ عن الساحة .باءت  
بخطاياي المواقيت الكنود  
ونرامت بى غواياتى لألقى ما تداعى  
فى حنايا الكائن المخلوق  
من توقٍ إلى هتك الغيوب  
ما تكن الحجب القصوى وما يومض هونا  
خلف أستار المجاهيل الخوافى

غير أنى  
 لم أكن عن دربك المرصود يوماً بقصى  
 ما تراخيتُ عن البر الذى أوصيتنى  
 ما تداعى خلف أشواقى جبار شقى  
 لا وما أمسيتُ يوماً  
 ذلك الروح العصى  
 يا نبي الله إني كنت أمسيتُ شغوفا  
 منذ أن غاديتها بلقيس تعنو للشموس  
 أن أرود الأرض جواباً لعلى  
 ألتقى ناساً تخلوا  
 عن نواميس نماها الله فى الكون الكبير  
 عن تجلّى فطرة الخالق فى الناس  
 خشوعاً وخضوعاً  
 علنا نهدي هداها  
 يا نبي الله تنحاز لتقوى المتقين  
 فتماذى بى جناحى إلى أرض بعيدة  
 فزغاً . مستنفر الروح . مليئاً دهشاً  
 مستثاراً بالذى عاينت . مأخوذاً مهيجاً  
 أبصرت عيناي قوما  
 ما تداعوا دون وجه الله للشمس إلها  
 لا وما انداحوا ينبون إلى وجه وثن



ربما صلوا وصاموا  
 ربما أفضوا إلى المعمور عمارا ورهطا وحجيجا  
 غير أنى يا نبى الله أبصرت أناسا  
 يعبدون الناس إن باءوا إليهم بولاء  
 وينيبون إلى صوب العتاة المرجفين  
 ويبيعون الدم الحر الذى كان حراما  
 لبغاة الأرض عقبى أن يجازوه ولاء  
 أن يحوزوا حظوة مملوكة  
 لا يجازاها عبيد  
 دونهم قسط الرضى يذلى به بغى البغاة  
 غير أنى يا نبى الله أبصرت ملوكا  
 قد تجافوا عن صراط العدل واستغشوا به  
 ربة الذل يسرون بها صوب رقاب البائسين  
 يسلمون الخوذة المرعية العصماء فى أمر الرعية  
 لطواغيث استباحوا  
 بقضاء السيف والنطع وطرق الغالين  
 ساحة الخلم بأشواق الحيارى المتعبين  
 غير أنى يا نبى الله أبصرت شعوبا  
 ضعة تستمرئ الذل  
 وتستعذب وطء النعل  
 تنقاد بغير الحائر

تنحنى للسوط والسائط تعطى  
قبضة الجلاذ ما يعطى على النطع الذبيح  
وتباريه خنوعاً  
واندحارا واصطبارا  
لو يباريها عتواً  
وعلوا واقتدارا  
ذاك ما عاق مسيرى  
عقل الطوق وأزرى بالجنح  
فترامت بى إلى التيه تهاويل الرياح  
وانتهى بى يا نبي الله أن أوغل فى درب الخطايا  
غير أنى  
بارئاً من ذمة العصيان منداحاً إلى  
ساحة الغفران أواباً منيباً  
أترجاك لذنبى  
موثلاً برأى رحيباً  
لا تلمنى يا نبي الله  
وامنحنى من الصفح نصيباً

أولد في عينيك



لم أكن أعلم يوماً  
أن للبحر سهاماً وتصاويب ورميا  
أن للنجم ارتعاشاً ذهبيا  
فى عيون الجدول المنساب ما بين الحقول  
أن للأسرار فى عمق المدى  
سطوة تسبى وسلطانا مهيبا  
لم أكن أبصر دنيا  
يتوارى الحلم فى أطرافها خلف الجنون  
ويغنى  
صولة العشق وأصداء الجنون  
قبل أن أولد فى عينيك مولوداً حفيا

قبساً في أول الضوء الذي ينسل من نجم بعيد  
أن ميلاداً جديداً يتوالى  
للأغاريد وللعطر وللطير المغنى  
كلما

عائقت عينيك أشواق عيوني

\*\*\*

لم يكن يخطر لى عبر خيالى  
قبل أن أولد فى عينيك  
عصفوراً لعباً نازلاً  
أن فى العينين لو شاء الهوى  
عالمًا من فتن العشق غوى  
يوقظ الروح فيعدو خلفه  
بفؤاد فى مداه احترقا

\*\*\*

يا لها من شرفات  
كلما أمعنت كى أرتادها  
سفرا يدنى لقلبى مشتهاه  
خلت أنى كطيور البحر تنداح بعيدا  
كى ترود الأفق الفانى على شوق التذانى  
خلت أنى  
فوق متن الريح أساقط غيا

ينبت العشق على الأرض أحباء ندامى وسكارى  
ولحوناً

فى حلق الطير تنهل بأشواق الغناء  
وتراتيل وأوراد صلاة وابتهاال  
تتداعى فى قلوب العاشقين

\*\*\*

ذلك الميلاد أنسانى توارىخى القديمة  
وتماذى فى تقاوىمى شمساً طيعة  
وارتعاشات فصول مترعة  
وجنى قبل أوان يجنى  
ما أينعه  
ذلك الميلاد أهدانى نشيدا  
كلما غنيته خيلت أنى  
عشت فى إيقاعه المرفف ميلاداً جديداً





المرايا



كنتَ مسرى لظنوني  
 ومراداً لاشتياقات عيوني  
 أيها الكون الذي كان ظلالاً وخبايا  
 يوسع الفكرة أن تومض في الروح  
 هلالاً يتنامى  
 صوراً شتى وحلماً  
 وخيالاً واشتعالاً  
 ومدى أوغل فيه سفرأ  
 كلما أمعن فكري  
 في مراياك ارتحالاً  
 ذلك الطير الذي أودعه الله تباريح القلوب  
 وحياه الرغبة العجلى

لكى يوهن أستار الغيوب  
كلما يادره الشوق تداعى  
وترامى للوثوب  
ذلك الحلم الذى يولد وهناً فى الليالى  
يشعل التوق بقلبى  
يسكب النور حىالى  
لأرى وجه زمان مفعم  
فى خفاياك التى كن مرايا لخيالى

\*\*\*

فى فضاء الله . فى الكون الكبير المترامى  
كانت الأقمار والشمس ودارات النجوم  
والمدى الهائل يخفى خلفه  
ألف دنيا تتوارى فى الغيوم  
يثب الفكر على أبهائها  
مستثاراً . مغرماً . مستبقاً  
والخيال الجامح المحتاح نسر  
يترامى مصعداً مخترقاً  
يوسع العالم دنيا  
من رؤى تورق أحلاماً وشوقاً وظنوناً  
تسكب الروح بقلب الطين ينداح مدى  
ثمل الأعطاف ينهلُ جمالاً وجلال

ويغنى الشعر موسيقا ترامت للسديم  
واستطارت في شعاب الأرض أنغاما  
وزهوا وفتونا  
ينطق الصخر بأشهى ما يقال  
ويبوح العطر ينساب عبيرا في التلال  
يُرْقِص النخل على مسرى الهوى  
ويغادى النهر روحاً  
يبسط الأرض نسيماً وظلالاً

\*\*\*

كيف أمست كل هاتيك الجالى  
والمجاهيل التى كانت مراداً خيالى  
صفحة في مستراد ناصع  
بائح بالسر يوحى لمواقيت التجلى  
كلّ ما دقّ وما رق وما  
كان فى الغيب ذرا وهباء  
أنراها  
بعد أن عرى مداها  
ولع الإنسان بالإيغال خلف الظلمات  
فتمادى يتقصى  
كل درب لغة الغيم وتاها  
أتراها

موجيات بعد بالروح الذى  
يشعل النار بأشواق البسنيين

\*\*\*

أيها الكون الذى انداح فما  
عاد يخفى فيه ما كان خفيا  
يتأبى الشعر أن يلقاك مجلّى لليقين  
إنما يرضاك أن تبقى مراداً للظنون

كان الذي عشقته هنا





تواثبت أعنة الخيول في دمي  
كأنما على متونها استطارت النيران  
تثبت في جناحي الكسير ألف طائر يطير  
تنقر الرياح في براح جبهتي  
وترتمى بي في مدارها السوافي  
سار بلا حادٍ ولا جواد  
مالي سوى توكتي على الحصى  
سقاية وظلّة وفضل راد  
أمضى وحولي التيه مطلق العنان  
أسائل الركبان والوديان والقيعان  
كيف السبيل الذي عشقته

وكيف آوى للمدى المشاكس الحرون

\*\*\*

كان الذى عشقته هنا  
إن جعت مد لى أطايب المنى  
وإن ظمئت شق لى دوافق السواقى  
وإن عييت كان رقية السلامة  
وكان ترياق المسهّد الكظيم

\*\*\*

كان الذى عشقته هنا  
يصنع لى من أغنيات الليل فى السحر  
براءة الجناح وامتلاء الشراع بالرياح  
إذا أردت أن أخوض رحلةً إلى القمر  
وكان إن أردت أن أطول نجمة من العنان  
يطير بى إلى مجرة السديم  
لأجمع الأغانى الملقاة فى أزقة النجوم  
هديةً أحيى بها غرامى القديم

\*\*\*

كان الذى عشقته ييوح لى  
فى عتمة الطلاسم الخبأة  
بألف سرٍ عن أهلة السفر  
وألف ألف خاطر

من رحلة العيون فى العيون  
وكان من عشقته  
مداد أحرفى  
إذا أردت أن أحاور اندلاع لحظة الجنون  
وأن أبوح بالذى يمور فى الظنون  
وأن أرافق الطيور فى ارتحالها إلى النجوم

\*\*\*

كان الذى عشقته  
دليل أربتى  
لدى ارتحالى فى المغاور العتمة  
إلى جزائر المواجد الحميمة  
يضيء لى مسارب الرجاء  
وينثنى بى مصعدا إلى  
إذا أردت أن أهلّ فى عباءة المطر

\*\*\*

كان الذى عشقته  
يملى على أحرف النداء  
فأنشئ أبعثر الحروف فى مرافئ السؤال  
ألملم الظنون فى انعطافها  
أحجية عصية المنال  
تمور فى انطفاء أعين المسافرين

وفي انكفاء لحظة المراوغة  
 لعلني إذا ظفرت بالجواب  
 أحصيه في دفاتر اليقين  
 وفي متون لحظة الإياب  
 وذات ليل خادع  
 مستوحش المدى  
 صحوت لم أجد لسمته صدى  
 عند السؤال لحظة الغناء والبكاء  
 وعند موعد ارتحالنا  
 إلى تخوم مرفأ  
 ظمآن لم نزره من سنين  
 فيا ترى  
 أين الذي عشقته ؟  
 هل ارتمى وراء حائط الزمان  
 أم استباحته روحه الهموم والأحزان ؟  
 أم خَرَّ طائراً مفرغ المدى  
 مطأطأ جناحه  
 ومُسَلِّماً براحه  
 لقبضة السجان ؟

## قائمة النجوم



أيتها الحسناء  
يا رقيقة الخطى  
ويا رخيمة النداء  
منذ متى وأنت تقرئين لى السماء  
وترصدين لى مواقع النجوم  
وتعقدين ألفة حميمة  
ما بين شوقى الملهوف للقاء  
وبين ما تثير فى الإصبع النحيلة

\*\*\*

أيتها الحسناءُ  
يا بهية الصبا

ويا سميّة القمر

منذ متى

وأنت تقرئين لى الطوالع الخبأة  
من يوم أن بصُرتُ بالأهلة المنيرة  
تنثال خلف خطوك الموقع الرهيف  
والقامة الفرعاء صرح باذخ منيف  
ومنذ أن أهملت كالغمام  
تواصلين فى ندائك الرخيم  
وتبسمين  
وتعريضين لى قراءة النجوم

\*\*\*

وعندما رضيت أن تحدّثينى  
عن قدرى الخبوء فى قرارة الزمن  
وعن تواصلى مع اندفاقة العمر  
تبينين زين ما تخبئ السنين  
وتشعلين التوق والترقب المثير  
والحنين  
أحسست أننى أخون منطقى القديم  
أبعثر المدى الذى ألفته  
فى صحبة الأفكار والتماعة اليقين  
وأنى أودع ما حفظت من متون



لدى أكنة سوداء معتمة  
وأنتى  
أهين تاريخاً من العناء والمكابدة  
ومن تواصلى المذيب نور أعينى  
مع انكبابى فوق ساحة الحروف  
لكننى  
أدمنت فيك متعة الحوار  
والقلق المثير حيرتى  
فى شوق الانتظار  
كان الذى طوح بى لشاطئ المغامرة  
ما تحملين يا حسنائى الجميلة  
من ألقٍ يمور فى العيون  
ومن ضحى يلمع فى نصاعة الجبين  
ومن براءة فى الصمت والمخاطبة  
ومنطق لا يعرف المداورة

\*\*\*

لكننى والحق يا صبية  
ما احتجت يوماً أن أطل خلف حائط السنين  
إذا ترامت بى وراء المنى  
وحلّق الخيال واستدار يعين السؤال  
لأعرف المقدور والمكتوب والمتاح

لكننى ما عشتها قضية  
ليس لأننى مدعن  
أعنو لسطوة الغيوب  
ولا لأننى لا أكن رغبة  
فى أن تجلى لى السوانح المؤجلة  
لكن لأننى أعيش عالمًا  
يشى إذا ما أشرق الصباح  
بما يمور فى أكنة المساء  
وتنجلي عن أفقه شواهد المرایا  
وما تخبئ الضمائر اللعوب فى النوايا  
فعاد شأن الغيب حسبة موثقة  
إذا تضيء الحاسبات ساحة اليقين  
وتنشئ الدفاتر المريشة المصوبة  
تستطلع الغمام تستفتيه فى السؤال  
فترتمى حياها شواهد الظنون

\*\*\*

يا طفلتى البريئة العيون  
قد علمتنا حكمة السنين  
إذا أبردنا أن نجوس فى عتامة الغيوب  
وأن نظير للأهله المؤجلة  
أن نعمن الترحال فى الدروب الوجلة

فتنجلي من بعد غاية المسير  
وها هي الشواهد الأثيمة اللثيمة  
في عالم مضنى معذب جريح  
بألف منطق مدارر تصيح  
يأبها الملقين في أزقة الزمن  
المالئين ليله  
بغفوة غبية كسول  
المدلجين في ضلال ألف ليلة ملول  
قوموا وحدقوا في مقلة الغمام  
لتعرفوا من بعد ألف عام  
متى وكيف .. يهطل المطر



عتاب



ويذكرني أحبائي وتبقى  
على البين المورق لا تجيب  
أما تدري وأنت بها عليم  
جراح البين كيف بها يصيب  
أعد لك الشهور إذا توالى  
لعل لقاءنا الآتى قريب  
ويسهر فيك بالأشواق ليلي  
وتأرق لي النجوم فلا تغيب  
عهدتك فى الهوى وترأ يغنى  
وفيه بكل جارحة تذوب

وما ألفت منك على سعادٍ  
سوى لهف يحن فلا يثوب  
فمالك حين أستاذنيك تنأي  
ومالي عن وداك لا أثوب



نچوای إلیک



العصافير التى تغدو خفافا وثقالا  
والنجيمات التى تورق فيئاً وظلالا  
والحكايات التى تولد نشوى فى السحر  
تتهادى فى انعطاف الليل أشواقاً  
وفى صرب الغمام  
وأحاديث القمر  
والمدى يمثّل عطفاه . يغنى  
مولعاً بالشمس والظل وأعياد المطر  
والفراشات اللواتى  
يعتنقن النور شوقاً  
ويراقصن الظلال

ويغنين أناشيد الضياء المترعة  
واندياح العطر في المرج ارتحالاً واغتراباً

\*\*\*

ذلك المحفل ينداح لعينيّ مرايا  
مرحاً ينساب كالنسمة موستيقاً خفية  
في أغاني الشفق المرخي على صدر الغروب  
كنته لي

كلما خايل عيني  
وجهك المائل في عينيّ شمساً لا تغيب

\*\*\*

إيه يا أيتها الموجة من عطر التداني  
كيف بي أغدو مع الناس وأمضى في الدروب  
يشتريني النزق المنداح في النهر العصيّ  
ويبيع الشوق في صدري ارتمائي  
في الليالي المتعبة  
وأنا فيك سرابٌ حائلٌ يمرق ما  
بين الشعاب

كيف بي  
تولد الرغبة للأشياء في عينيّ أشواقاً مريضة  
مثلما تولد ميلاداً عصياً  
من ضرام النار أطياف الدخان

واشتياقاتي التي تبعث دوماً للحياة  
كلما ماج بصدرى ظمأ  
واستباحتنى على النار خطاه  
كيف بي  
لا أناديك فتمتد دروبى  
تحت ضوء الشمس مجلى للرضا  
وانعطافاً للمواعيد الخصيبة  
وبساتين وأنداء ونعمى  
من ندى كفيك تهدينى صراط المهتدين

\*\*\*

أظمأتنى وقدة الشمس على تيه الصحارى  
وأنا وحدى بلا ظلك أعدو وأهيم  
تائهاً فى عتمة الليل وفى قيظ النهار  
أتشهى  
نسمة من فيئك الممتد تسرى  
ظلة فوق جبينى  
ودعاءً ضارعاً من شفئك البرتين  
من لظى النار يقينى  
أين منك اللمسة المرخاة من كفيك  
برداً وسلاماً  
يا شعاعاً

من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين  
أسمعنى صوتك البرّ المواتى  
بالحكايات القديمة  
حدثينى مثلما كنت حديث الولع المشبوب  
فى قلب الصبى  
يتملى فيك مبهوراً بأصداء الخيال  
ويظل الليل مسحوراً مشوقاً  
للذى كان يقال

\*\*\*

آه ما أغلى هدايك التى أهديتنى  
وأنا فى زورق الأيام محمول إلى الأرض  
البعيدة

كيف أنسى  
ضمةً من ساعديك  
قبلةً من شفئك  
دمعةً تنهلُ خرّى  
برةً من مقلتك  
آية تشرق إيماناً وصبراً و يقينا  
أن يعود الراحل الموغل للحضن الدفئ  
حاملاً نعماء منهلاً جهوراً وسروراً

\*\*\*

رغم ما تبلونى السبعون من جور السنين  
والتجارب التي أشعلن فودى ضراما  
وأنحن الدهر فوق الهيكل المضنى  
وأوهين العظام

فأنا ما زلت هذا الطفل أهفو  
للينابيع التي تدفق برأ وحنانا  
وأنا ما زلت أرتاد مجاليك الخوالى  
باحثاً عن فيئك الدافئ أستدنيه مأوى  
علنى ألقى لديه الآن سلوى  
توسع الخاطر أن يهجع مأنوناً رحيبا

\*\*\*

ها هي الذكرى تناديني فأهفو للنداء  
وتواتيني بلحن قدسى  
ضارع يصعد بى صوب السماء  
لألاقيك على مدرجها العلوى نوراً  
وبهاء  
يا شعاعاً

من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين  
رحم الله زماناً كنت لى  
جنة المأوى ودنيا المسعدين





ارتحال



ها نحن نغضى فى ارتحالنا  
تغد سيرنا  
إلى تخوم الأزمن البعيدة العصية  
تلك التى لا تحتويها مساحة المدى  
ولا تمر من معابر الحقب  
ولا تعيش فى التقويم عمرها العتيق  
تلك التى لم تحص بعد فى دفاتر السنين والحساب  
ولم تقيد فى متونها الشواهد المؤجلة

\*\*\*

الآن نغضى فى ارتحالنا  
لم ندر كيف نرصد الأزمة المسافرة

وأى ليل سوف يوقظ الرياح  
فى الأشربة الممزقة  
ها نحن نمضى فى ارتحالنا  
وفى عيوننا  
خارطة عميقة مشوشة  
خيولنا  
لا تستطيع أن تحاور الصخور . ترتدى  
إلى أجنة السماء  
لا تستطيع أن تمد أذرعاً  
إلى شمس لم تغادر قبة السماء بعد  
حتى زماننا القديم  
لم نستطع أن نشعل الدروب فى مساره  
لنستضىء رحلة القوافل المسافرة  
مرتدة إلى المطالع البعيدة

\*\*\*

ها نحن نمضى فى ارتحالنا  
إلى دروب ليل موغل عقيم  
ما انحط فى أفق ولا سديم  
وما وعاه أطلس الزمان والمكان  
وما تبدى من ورائه شفق  
يا يؤس فى الدروب ما اندفق

من الحميم ألف فرسخ غوى  
وألف ميقات مداهن غبى

\*\*\*

ها نحن نمضى فى ارحمانا  
نجوس فى الأزمة المبعثرة  
ونرتضى فى الحفر المسدلة الغيوم  
ونستضىء بالشموس لم تصافح  
مقلة النهار  
وبالنجوم ما انحنت تقبل الخطى  
وما استدارت تشعل الحنين فى الصدور

\*\*\*

نبا بنا زماننا العنيد  
تلفظنا عيونه  
ويستبيح رعدُه وبرقُه وأجمعه  
برودة الدماء فى عروقنا  
والسحن المرمى فوقها  
بلادة تمور فى الظنون  
فما الذى صيرنا فى ساحة المجالدة  
أعنة مهیضة وباردة  
لا تعرف الولوج فى المراودة  
ولم تخاطر أن تروء مرة

مرافئ اللجاج والمعاندة  
فما الذى أباحنا  
لسطوة المحاور المراوغة  
تدير فى رءوسنا النعاس والخدر  
وكلما ارتدّ إلى سمائة بشر  
عدنا ندور فى الدوائر المفرغة

\*\*\*

زماننا  
لم نستطع أن نستبين أبجديته  
ولم نشأ أن نرصد اندفاعه  
إلى المرافئ البعيدة العنيدة  
فغال فى عيوننا الترقب المديد للنجوم  
وحطّ فى الضمائر البليدة المغيبة  
قاموسه المليء بالروى المغترية  
ونحن نستمرئ لحظة الدهول  
وندعيها لحظة المكاشفة  
ونستعيد كلما خبا أوارها  
تاريخها المشحون بالشواهد المؤتمة  
فما الذى رمى بنا لرحلة  
شقية المدى عصية الدروب  
هل أن أنهرأ من الجليد

قد دقت الحديد في عيوننا  
فلم نعد نقوى على اندلاعة الزمن  
أم أن عاصفًا مرمداً الجناح  
ينقض كلما أظلنا صباح  
يملى على عيوننا تمرده  
يؤجل الأفراح للمدى المراوغ العقيم  
ويرسل الرياح تستهل بالنذير  
وتستظل بالردى وبالنكير  
وما لنا حياله  
طوقٌ ولا أعنة ولا خيول  
إلا التي تحملنا رهينة  
تنداح في الرياح والبراح والوهن  
تؤزها لكي تغادر الزمن





علمتني



علمتني  
في صحبة المساء أن أخوض رحلةً  
إلى القمر  
أن أعتلى مناكب السماء كي أراود النجوم  
لتستفيق باقةً من الأغاني  
تنسلُّ نشوى في صدى الأهله الطروب  
أدور معها في حديث عاشقٍ مشوق  
عن قدرى الخبوء في عيونك البرينة  
وعن تواصلي  
مع اندفاقة العطور في الزهور  
مع الخريف في الغدير والعبير في نسائم السَّحر  
إذا التقى من خلفها قلبان عاشقان

علمتني  
أن أوقظ الشمس من سباتها  
لكي تضيء لي مشارف الصباح  
لألقط النضار من حدائق النهار  
وأعقد الضياء حليةً بهيئة  
معقودة بلهفتي  
وأسأل الطيور أن تعينني على الغناء  
وأن تصبّ لحنها الرهيف في تواصل المطر  
وفي تمايل الشجر  
وفي عيون الجدول المشاكس الجسور

\*\*\*

علمتني  
أن أنشيء الجسور والمعابر الحميمة  
ما بين صبوتى الراعشة النداء  
وبين رحلة الصدى لساحة الغناء  
وأن أرافق الليالي المسهدة  
أطوف حول لمعة الطيوف  
عصيةً قصيةً وشاردة  
أنظمها قلادة  
تخايل المساء بالضياء

\*\*\*

علمتني  
أشياءك العجيبة الغريبة  
تلك التي ما انحط في سمائها  
توقع ولا تصور ولا خيال  
أن ارتماء العشق في ضراوة الحريق  
ضرب من الهدى  
وليس ضرباً في متاهة الطريق  
وأن نار العشق تغفر الذنوب  
كما يبرأ الأوبأ والمنيب  
وأن لحظة راجفة من اللقاء  
قد تشعل الحريق في الدماء  
وتستثير فورة  
غافية ومستكنة  
لا مثلما تثير ألف ساعة  
مأنوسة . وادعة ومطمئنة

\*\*\*

علمتني  
إما كوانى الجرح لا أبوح  
وأن أدارى خفقة الجروح  
ودفقة الأسي  
في أعين الصباح والمساء

علمتني يا نار أن أذوب  
من دون أن تدري بدائي الدورب  
وأن أضيع في خطي المعذبين  
وملء قلبي الشوق والرجاء والحنين  
علمتني  
أنى أغنى في تدافع المطر  
كما أغنى في توائب الخطر  
وأن موميقا العناء والمكابدة  
تدق في جنبى مثلما يوقع النشيد  
علمتني  
لما يغيم في سمائي المدى ويطبق الجليد  
وتوآد الرياح في براح خطوى المديد  
أقبس من عينيك ساعة من الرضا  
فتشرق السماء في عيني من جديد

قبضة..من الوهج





ماذا لو ان قلبك الملىء بالظنون  
يأبىها الملتاث فوق حافة مسننة  
وفوق نارٍ قد تغشّت باللظى عيونه  
وبين دربين تخاصماه قتيّة رهينة  
ماذا لو أنّه

أمال إحدى الكفتين في المراهنة  
وسار صوب النار والقتام والأهله المداهنة  
أو سار صوب النهر والعرائش الظليلة  
أو صوب ربح برّة رخيّة بليلة

\*\*\*

تكشفت غلائل الظنون واستبان الدروب

وكلُّ أفق كاشف الرياح عن براءته  
وأوشكت ستائر الغيوم أن تبوح  
وكاد سر النار أن يلوح  
ما عادت الغيوب تستثير حيرة المسألة  
لأنه ما عاد خلف الأفق من غيوب  
وما الذى قيد خطوك المهيض بين حافتين  
وما الذى أقام ظلك المريض بين بين  
والآن هيا خذ قرارك الذى يلقيك فى اليقين  
وأقفز إلى ما تصطفى من عمق حافتيك وعش بها  
كما يعيش الراهب البوذى آثر السفر إلى شواطئ المرافئ  
البعيدة القصية  
واختار أن تلوكه النيران كي يفيض للمراتب العلية  
يأبها المداور الملتاث فوق حافة مسننة  
تود أن تحوز من دروبك التى تخاصمت عليك قبضة من الوهج

## حديث الماء والنار



كنت أشعلت دروبى وهجا  
وتراميت على أشرعتى  
حلما يمضى لديا  
لم يطأها بعد فى الكون خيال  
لم تكونى ذات يوم قبساً  
من لظى الشمس التى تنداح ناراً و أوارا  
كنت ناراً قدسية  
توشك الأشواق فيها  
أن ترى فوق القباب المشرعات  
موعداً يدعو لميقات الصلاة  
كنت ناراً

وسعت كل التباريح التى تشعل توق  
العاشقين  
وأمانى السكارى المدنفين  
ورعاة الحلم ينساب رفيقاً فى الرؤي  
ويعيد الرحلة المضناة أن توفد  
للبل العتيم

\*\*\*

كنت لى أيتها النار المهيبة  
زورق الشمس الذى يحملنى  
فوق متن الريح أرتاد الزوايا  
حاملاً بين ضلوعى  
من شفاه النهر أوراد المشوقين اليتامي  
كنت شوق الرفقة المضنين ينسلون  
فى الليل لوإذا  
تتملاك دعاءً وتعاويز بريئة  
كنت لى سقيا وكان الماء دفناً فى ضلوعى  
ذلك الماء الذى كان رفيقى  
عندما أوغل أرتاد حثيثاً  
تحت ظل الغيم أحلام سنى المطفآت  
وأمانى التى تولد فى لون تباريح الوطن  
كنت أستسقيه من نبع توارى فى السماء

واستوى فوق شفاه النهر ورداً للظماء  
عسلاً، خمراً، حلياً، كوثرأ  
كنت لى والماء زاد السفر المضنى لبیت فى القمر  
أنت تنهلين نعى  
ومواعيد وعطرا او جنونا  
تهبين العمر فرسانا وخيلاً وصهيلأ  
ومضامير سباق للنجوم  
وهو يرقينى برقيا الغيم أن تزلق  
فى الطين خيولى  
أن أرى تحت انهمار الشمس أشكو وظمئى  
ضارعأ خلف عذابى  
راجيا حافة ميزاب صدي

\*\*\*

كنت لى والماء تمويزة أيامى العجاف  
حينما تولد فى الرغبة النشوى  
لكى أنساب حلما فى الضفاف  
أنبت النسمة ترتاد مواقيت الرياح  
والأغانى فى لهاة الطير والزرقة فى لون الحقول

\*\*\*

وغداة انهذ فى الهيكل طوق وبناء  
وتداعى الغيم معقودأ على متن الرجاء

وغدا العمر طيوفاً من بقايا زمن  
فائر الخطو وميعاداً يولى  
غردى أيتها النار بأصدقاء لحونى  
وأعيدى صولة العمر وأشواق الليالى المثقلة  
واملثي دربى أطيافاً وأحلاماً وأصدقاء مرايا  
أشعلنى لى عمرى الموهن بالتوق القديم  
ما يزال العمر ملتاثاً بأشواق التداعى  
وبقايا العمر حتى إن تخطين السنين  
وانطوى فيهن حتى رفق الضوء المولى  
تترجى ساعة كنت لهيباً فى الضلوع  
ما تزال النسمة المرخاة من آخر ليل يتوارى  
قبساً لا يننى ينبض من تحت الرماد  
فأهيبى ببقايا الشعلة المذكاة أن تومض هَوْناً فى الدماء  
واجعلنى الماء رفيقى  
يتمادي  
مشفقاً برأ حلفيا فى عروقى  
مثلما كنت وصوبُ العمر فياض سخى



## الشاعر

### \* محمد صالح الخولاني \*

- ولد في بورسعيد عام 1935.
- تخرج في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام 1963.
- تنشر أعماله منذ بداية الستينيات في الصحف والدوريات الأدبية بمصر والعالم العربي وتذاع بالبرامج الأدبية بالإذاعة والتلفزيون .

### \* صدر للشاعر

- ديوان «ملحمة الشعب البطل» في دولة الجزائر عام 1971.
- ديوان «نصفي ويقول الموج» عن دار المستقبل ببورسعيد عام 1987.
- ديوان «في ذاكرة الفعل الماضي في سلسلة إصدارات أدبية» الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 1992.
- «الحلم والمزامرة» مسرحية شعرية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1996.
- «أيام الدم» مسرحية شعرية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 2000.
- «ملكة البندقية» عن دار آرت بورت ببورسعيد عام 2005.
- ديوان «أشواق رحلة العودة» شعر سلسلة «الإبداع الشعري المعاصر» الهيئة المصرية العامة لكتاب.
- \* للشاعر تحت الطبع:
- «زيارة لبيت القاضي» و«السقوط» مسرحيتان من فصل واحد.
- \* ديوان: «رحلة إلى الله أشعار إسلامية».



5	صمت النهر.....
13	ثلاثة أوجه للبراءة.....
19	أحزان التاسع من نيسان.....
27	إيقاعات علي أنشودة المطر.....
35	رابة فوق رقاب الجبناء.....
41	أسفي علي ميثاق عروتنا.....
47	بين يدي مدينة مقاتلة.....
57	من مفكرة مواطن مصري.....
67	شكوتك للعشق.....
71	النهايات.....

77	أبسي .....
87	إن البطولة لا تموت .....
93	غنيت مكة .....
101	هو دين في ذمتي .....
107	النصر آت يا أمير المؤمنين .....
115	من أحاديث الهدهد .....
121	أولدني عينيك .....
127	المرايا .....
133	كان الذي عشقته هنا .....
139	قارئة النجوم .....
147	عتاب .....
151	نجوأي إليك .....
195	ارتحال .....
167	علمتني .....
173	قبضة من الوهج .....
177	حديث الماء والنار .....

### لتنشر في السلسلة :

- \* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء . ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن .
- \* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
- \* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبِع الكتاب أم لم يطبع .



صدر مؤخرأ فى سلسلة

أصوات أدبية

- 380- صندوق روبايكيا.....محمد عبد المعطى
- 381- المنمنمات .....محمد عفيفى مطر
- 382- إخلف لبحرك .....مسعود شومان
- 383- سياسة النسيان .....عاطف عبد العزيز
- 384- كلام مُرْسَل .....خالد الصاوى
- 385- الفؤاد وما رأى .....فتحى دياب
- 386- ثلاث خطوات باتجاه السماء .....محمد صالح البحر
- 387- الاعتراف الأخير .....درويش الأسيرطى
- 388- آثار جانبية للسعادة .....البهاء حسين
- 389- أصداف الخمار .....عبد الرحمن درويش
- 390- رائحة الوداع .....فؤاد قنديل
- 391- العائش قرب الأرض .....عيد عبد الحليم
- 392- ضد الفراغ العاطفى .....أمجد ريان





## من أعدادنا القادمة

- 1- للسبيلات.. ملامح الوطن القديم..... أحمد محمد
- 2- مشاهد..... فتحي فرغلي

شركة الأمل للطباعة والنشر  
(مورافيتلى سابقاً)



بعد أن أثنى الشاعر الكبير محمد  
 صالح الخولاني حياته الإبداعية بالعديد  
 من الدواوين و المسرحيات الشعرية  
 التي حققت ردوداً طيبة سواء بالنسبة  
 لمثدوقي الشعر أو محبي العروض  
 المسرحية، فإنه في هذا الديوان يطالعنا  
 بمجموعة من القصائد التي تبين عن  
 قضاء شعري رحب له تفرد  
 و خصوصيته بداية من التجربة الفنية  
 و حتى المفردة اللغوية ذات الدلالة  
 العميقة والموجية

716  
 555

Bibliotheca Alexandrina



0707297

www.qatelnada.com.eg  
 www.althaqafahalgadidah.com.eg  
 www.odabaaelaqaleem.com

الثنى : جنيهان